في عصر امتلاك الجميع للكاميرا

الإبداع الفوتوغرافي.. هل يصبح تذكارا من الماضي؟!!

(2-1)

استطلاع مصور:
المقالح عبدالكريم

مشاهدات قريبة من الواقع

لم تعد "صناعة الصورة" مقتصرة على شركات تصنيع أجهزة الكاميرا..!
مفهوم "الإعـلام التفاعلي" برز أكثر مع إضافة الكاميرا إلى أجهزة "الموبايل"!!؟
زايـدت شـبكة الانترنـت مـن حضـور الصـورة وضرورتها وأهميتها..!
تحولـت الكاميرا من "تـرف" إلى "ضرورة" بفعل احتدام التنافس بين شركات الموبايل..!؟
تموضعـت الصـورة فـي مكانـة موازيـة للمعلومة.. مـن حيث حريـة الحصول عليها والمشاركة في صنعها ونشرها.

1

"الصورة بألف كلمة"!؟؟

مقولـة أو مبدأ طالما تشـدق به الكثيـر وهم في حالة خرس فكري كلي.. لما يصطدمون مصادفة مع صورة اختصرت كل ما يمكن أن يقال وما لا يقال!!؟
لكنهـا- هـذه المقولـة- أصبحـت فـي وقتنـا الحالي متجسـدة واقعا لا مفر منه أكثـر من أي وقت مضى.. ويومـاً إثـر آخـر تتزايـد وضوحـا أسـباب التسـمية المتداولة "عصر الصورة".

2

صناعة الصـورة.. بلغـت الآن ذروتها.. فمـن التباطؤ إلى التسـارع ومـن الجزئيات إلى الكليـات.. حيث لم تعـد صناعـة الصورة مقتصـرة على ذات المسـتوى المتمثل في شـركات تصنيع أجهزة الكاميرات.. التي انتقلـت من النمـط "العادي" إلى "الرقمـي" .. تماما كما شـركاتها التي دفعتها ثـورة تكنولوجيا الاتصال وتبادل المعلومات الى كسر احتكارها الدائم لتقنيات التصنيع.. وذلك مع بـروز مفهوم "الإعلام التفاعلي" الـذي كان نتاجا طبيعيا لإضافـة الكاميرا إلى أجهزة الموبايـل.. بدايـة كترف لم يحتج عليـه أحد ولم يكن أحـد يحتاجـه .. نظـراً لمواصفـات تلـك الكاميـرات الردئية سلبياً .. ومن ناحية أخرى.. وظيفياً: الموبايل جهاز يستخدم أساسـا لإجراء المكالمات.. ما يجعل الكاميرا- حينها- خارج نطاق الحاجة.
لكن تاليـا.. ومع ظهـور المزيد من شـركات الموبايل كان أن احترمـت المنافسـة بيـن الشـركات.. وهـو ما حول الكاميرا من تـرف إلى ضرورة ومن مجرد إضافة تكميليـة إلى خدمة أساسـية.. خصوصـا مع إدخال المزيد من التحسـينات علـى مواصفـات الكاميرات مثـل: الفلاش الضوئـي.. دقة الالتقاط..العدسـات... الخ.
حتـى بـات عـدد منها يعمـل بـذات كفـاءة كاميرات الديجتـال الحمولـة باليـد.. مـا انعكس سـلبا على الـوكالات الدوليـة للكاميـرات مـن حيث المبيعـات التـي تدنـت إلـى مسـتويات دنيـا.. أجبـرت معظم تلـك العلامـات العريقة العابرة للقـارات على خوض المنافسة الشرسة متسـلحة باستراتيجيات متطورة أكثر..

*** أبرز مقوماتها:**

-1 أحجام جديدة: بين صغيرة ومتوسطة.
-2 الأسعار: متفاوتة وفي متناول الجميع.
-3 التوزيع: توسيع خارطة الوكلاء حول العالم.
-4 مزايـا إضافية: تحكمت بها النوعيـة.. مثل إضافة برامـج كمبيوتـر تعمـل علـى التلاعـب بمواصفـات الصـورة كبرنامـج الفوتوشـوب.. إرسـال الصـور إلى الأجهـزة الأخـرى مـن خـلال البلوتـوث.. الاتصـال المباشر بشكبة الانترنت.. الخ.
وهكذا تموضعت الصورة في مكانـة موازية للمعلومة فكمـا حرية الحصـول عليها والمشـاركة في صنعها ونشـرها.. أصبحـت كذلـك الصورة..التـي زايـدت شـبكة الانترنت من حضورها أولا ثـم ضرورتها وتاليا أهميتهـا.. خاصة مـع ظهور مواقع خاصـة بالصورة: ثابتة ومتحركة.. عرضا ونشـر وبيعـا وحتى التنافس حولهـا من خلال المسـابقات.. وهو ما أفسـح مجالاً واسـعاً لدخـول آخرين إلـى هذا المضمار كشـركات الكمبيوتـر والنظـم المعلوماتيـة.. المنتجـة للبرامج والانظمـة الحاسـوبية المتخصصـة فـي الصـورة بجميع أنماطها وعلـى نحو يتيح للهاوي والمحترف علـى العمل مع وفي الصور.. حسـب الحاجة أو تبعا لنمط الممارسـة العملية: إبداع- إعـلان- صحافة.... الخ.
لأن الصـورة عبـارة عن: تثبيـت لحظـة خاصة على قطعـة ورق إلـى الأبـد .. مـا يعنـي تخليـد ذكـرى حميمة.. تأتي حفلات الزفاف في مقدمة المناسـبات الاجتماعيـة الهامـة .. والتـي تتضمـن تحضيراتهـا الرئيسـية : مصور فوتوغرافي ..والذي تخضع عملية اختياره إلى المعرفة الشخصية .. أو هي الترشيحات المبنيـة عل التجربة و الخبرة في مجاله .. أما أتعابه الماليـة فمهمـا عظمت فلا تعد مشـكلة أبـداً .. لأنها إمـا سـتدرج ضمـن ميزانيـة العـرس ..أو سـتخضع لمفاضلـة سـعرية تنتهي بنتيجة ترضـي الطرفين .. ليبـدأ التنفيذ بعد تحديد تاريخ المناسـبة وتسـليم الأجـر المتفق عليـه- أو جزء منـه- لمصورها.. الذي سـيحضر في وعده المحدد له.. ومن فوره ستتداعى داخل الأفكار سراً..

4-

عـام بعـد آخـر وتزايـد حضـور كاميـرا الفديـو فـي الأعـراس.. سـهولة اسـتخدامها لا تسـتوجب معهـا صاحـب خبـرة الا في حـالات نـادرة.. يحكمهـا نوع كاميرا وتجهيزاتها.. بغض النظر عن الحجم كالكبيرة المحمولة على الكتف.. او المتوسطة منها المحمولة بيدين اثنين.. أو الصغيرة الممكن حملها بيد واحدة.. ولأهمية وضـرورة كاميـرا الفيديو.. والتـي تكمل دور الفوتوغرافية.. لذا فإن العلاقة بين المصورين الاثنين فـي الإعـراس كانـت خالصـة الـود عابقـة بالمحبة والتقديـر.. خاصـة من طـرف المصـور الفوتوغرافي الذي كان- ولا يزال- يرى في مصور الفديو: "شريكاً" هامـاً للحـدث.. يقاسـمه اللحظـات الملتقطـة.. كما سيجاذبه أطراف الأحاديث كلما سنحت لهما فرصة..

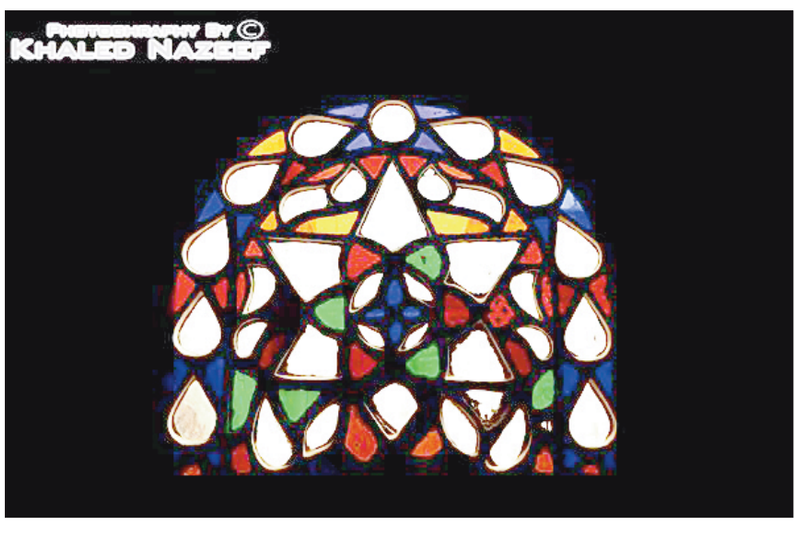

في استراحة مارقة..!!

5-

لكـن الوضع تغيـر في الفتـرة الأخيرة.. حيـث انقلب المشهد على نفسه تماماً.. منذ سكبت على تفاصيله الكثير من المفردات العشـوائية.. الآن.. وبغض النظر عـن الجـودة والدقـة والماركـة.. أصبح الـكل يمتلك كاميرتيـن: فوتوغرافية وفديو.. امـا في موبايله أو في "ايبـاده".. واحدهمـا أو كلاهمـا- يلازمه أينمـا كان.. والجميـع يزيد اسـتثمار مـا بيـن يديه كلمـا رفرفت مصادفة ذهبية: موقف في البيت حادث في الشارع.. مقلـب مدبر بين أصدقاء.. مناسـبة اجتماعية هنا أو هناك..!
يتـم ذلـك كلـه.. فـي تفـاوت متباين للغايـات التـي سـتتراوح ما بيـن اصطياد لحظـة مفاجئـة.. ومابين المباهـاة بمـا معـه.. إضافـة إلـى تقديـم "معـروف" لأحدهـم مـن باب " الجمالـة " – كما سـنرى تالياً- أو هي الممارسـة الروتينية بحكم مجال العمل: صحافي يجري اسـتطلاعاً مصـوراً.. أو مدونة علـى الانترنت.. سـيعرض حصيلته: صـوراً مقاطـع فيديو فـي منبره الخاص..
لكن وعلى صعيد الإعراس.. تشكل تلك المزايا الرقمية والتكاثـر التكنولوجـي انعطافـة جد سـيئة للمصور الفوتوغرافـي.. فمـن العمـل فـي جـو هـادئ وحقل فسـيح.. إلى الانغماس في حلبة ضيقـة.. يكتظ فيها الضجيـج.. كما تتزاحم وسـطها الأجسـاد.. ما يعني الانتقـال من: أقتسـام حدث "إلـى" التنافـس" على الحدث.. بيـن طرفين غيـر متكافئين بالمـرة.. والأهم ان الطـرف الآخـر هو أساسـاً: مجـرد دخيل وسـفير إزعـاج وممثل إرباك ومانح جرعات مجانية من التوتر والقلـق والانفعال.. ما يرمي به من خالف هذا المصور الفوتوغرافـي – الـذي يعتـاش مـن ممارسـته مهنـة الضـوء- المغلوب على مهمته.. حيث انه يجد نفسـه ومـع كل تجربة تصوير جديدة فـي مواجهة محتدمة ليثبت وجوده.. والأهـم ليبرهن على موهبته.. وهو في صـراع حاد تماماً وعلـى اتجاهين متضاديـن.. الأول: (ذاتي): اسـتحضار خبراته وتجاربه من ناحية.. ومن أخرى تنميـة مهارات جددا بما يتناسـب مع الموقف المتعلق تجاهه.. !!؟
الاتجاه الثاني: (غيري) ويتمثل بالتصدي الحاسـم والصـارم لـكل محاولات تهميشـه من قبـل الآخر بين المحيطيـن بـه.. وهـم يشـهرون مـا لديهم فـي تحدٍ سـاخر ووقح.. يقول عنهم في ازدراء ضمني.. انهم ندٌ كفـوءٌ له.. وهُو ليس بأفضلهـم مجرد انه يحمل كاميرا اكبر من كاميراتهـم.. علامتها التجارية أقدم حتى من أعمارهم هم..!!؟

6-

وتبلغ الذروة ذروتها القصوى خلال مراسيم "الزفة" .. وهـم على كثرتهم – كل بما ممدود في يديه- يتدافعون به أمام نجم المناسـبة.. على شـكل هـلال فوضوي.. يتزايد جنونه لحظة بلحظة.. ما يبث فيك الفزع والروع رغمـاً عنك وأنت ترى ولا تـرى ما تراه.. لا تفهم بعضه " لا ولا تسـتوعب معظمـه" بل لا تسـتطيع التغاضي عن كله او تبريره او حتى الاسـتهانة به.. لأنه سلسلة متصلة من عملية خلط مركبات كيميائية لا نهاية أبداً لتفاعلاتها.. التي ما أن تبثق من العدم وتتلاشى.. حق تلحظها أخريات.. في توالـى وتتابع هدام.. تماماً كما انفجـارات أصابـع ديناميت.. تم توزيعهـا كيفما اتفق على ظهر جبل شامخ.. بغرض أحداث نفق عبره.. في عملية عبثية.. الوسـيلة فيها غير صحيحة.. ما يعني اسـتحالة التحصل على هدف منطقي.. وهو ما يتميز لـه غيظاً هـذا المصـور الفوتوغرافي.. الـذي نال منه انتظاره لفرج ربه.. وقد اجهد نفسه لطول ما زفر يأساً وتصبيـراً.. في ظل عجزهـا التام عن ايقـاف الطوفان العرمرم من الأجسـاد المتراصة تجاهه.. وهي تجسـد المجـال بينـه والعريـس.. المغلـوب هـو الآخـر لكن علـى فرحته.. وهو يشـهد بأم ليلته مسلسـل اغتيال سـعادته على يد مشـاهد ميلودرامية بائسـة.. ضمن سـيناريو غير مخطط لـه بالمرة.. لمسـاته الإبداعية كصعقات عبقريته.. متناهية الإخلاص مستوفية النية الحسنة.. على النحو التالي:
* المكان: هنا أو هناك.
* الزمان: مساءً
* الحدث: مراسيم زفاف.